

في هذا العدد



عندما يشاهد الصغار دراما الكبار ص ٨



الحكاية الشعبية هل تصلح لأطفال هذا العصر ص ٤



مع نموذج عملي للقاء الأول بين الطفل الصغير والعروسة المتحركة ص ١٤



الكذب عند الأطفال ص ١٠



خيال الظل ص ٢٤



مسرح الأطفال داخل جدران الحضارة وممارسة الفنون ص ١٨



طفل الروضة ص ٢٤
... على خشبة المسرح



مظاهر تكوين الشخصية الوطنية للطفل في سياق فلسفة الفعل الدرامي ص ٢٦

بيبلوجرافيا : د. عوض توفيق عوض

تعبر المقالات المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة



تصدر المجلة بدعم من
برنامج الخليج العربي
لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية

الاشتراكات السنوية

جمهورية مصر العربية : ٣٠ جنيها مصريا
البلدان العربية : ٢٠ دولارا أمريكيا
الاشتراك التشجيعى : ٥٠ دولارا أمريكيا

خطوة

مجلة فصلية متخصصة في
" الطفولة المبكرة ورياض الأطفال "
تصدر عن المجلس العربي للطفولة والتنمية

برئاسة صاحب السمو الملكي
الأمير طلال بن عبد العزيز

المشرف العام

د. مسعد عويس

أمين عام المجلس

مدير التحرير

إيمان بهي الدين

الإشراف الفني

محمد أمين

الهيئة الاستشارية

د. أحمد الربيعي

أ. حمدي قنديل

د. سارة التركي

د. سهام الصويغ

أ. عبد اللطيف الضويحي

د. عثمان فراج

مستشارو التحرير

أ. سعد لبيب

د. صفاء الأعرس

أ. عبد التواب يرسف

د. ليلى كرم الدين

الاستفسارات والمقترحات والاشتراكات:

المجلس العربي للطفولة والتنمية

٥ ش بهاء الدين قراقوش - الزمالك

القاهرة - ص. ب. ١٥ الأورمان

تليفون : ٧٣٥٨٠١١ - فاكس : ٧٣٥٨٠١٣

E-mail: accd@arabccd.org
www.accd.org



عزيزي القارئ

تنامي الاهتمام في الآونة الأخيرة بالتنمية الثقافية لدى الطفل العربي، من أجل إثراء شخصيته ودعم هويته وانتمائه ، خاصة مع تعدد التيارات الوافدة وتباينها في كثير من الأحيان مع ثقافتنا العربية ، وبحسب مجلة "خطوة" إنها تطرقت في أعداد سابقة إلى عدد من المحاور والموضوعات التي تتعلق بهذا الجانب المهم ، مثل فنون الطفل بمختلف أنواعها - والطفل والتلفزيون .. إلخ ، واليوم تقدم "خطوة" ملفاً جديداً حول موضوع ثقافي مهم هو مسرح الطفل العربي.

فقد عرف معجم المصطلحات الدرامية مسرح الطفل بأنه "المكان المهيأ مسرحياً لتقديم عروض تمثيلية كتبت وأخرجت خصيصاً لمشاهدين من الأطفال ، وقد يكون اللاعبون كلهم من الأطفال" . فلقد أثبتت كل الدراسات أهمية المسرح - أبو الفنون - باعتباره أحد الوسائط الثقافية الفاعلة في تنمية الأطفال عقلياً وعاطفياً وجمالياً ولغوياً وثقافياً ، سواء للأطفال العاديين أو المعاقين .

وعلى الرغم أن مسرح الطفل العربي - بمفهومه الحديث - لم يعرف إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أن هناك صيفاً وأشكالاً ضاربة في عمق الموروث العربي مثل الأراجوز وصندوق الدنيا وخيال الظل . لذا فإننا من خلال هذا الملف نحاول أن نلفت الانتباه إلى أهمية تفعيل هذه الوسيلة الثقافية لدى الطفل مع التركيز على طفل الروضة ، خاصة في الدول التي لم ينشأ فيها مسرح للطفل العربي من جانب ، وندعو إلى إحياء أشكال وصيغ مسرحية تكاد أن تندثر من جانب آخر .

بهذا العدد تبدأ "خطوة" عاماً جديداً من عمرها ، ومن واقع إحساسنا بالمسئولية الجسيمة الملقاة على عاتقنا من أجل تحقيق الأهداف التي رسمت لهذه المجلة ، فإننا سنسعى خلال المرحلة القادمة إلى تقييم المجلة على كل المستويات ، ونحن نرحب بأية أفكار أو مقترحات أو نقد يوجه لنا بوعده إنه سيكون محل دراسة وبحث .. فهدفنا جميعاً واحد هو تطوير مجلة خطوة لتكون "خطوة" في طريق بناء طفولة صحيحة .

ويقدر حرصنا على التقييم من أجل التطوير ، بقدر سعينا إلى الالتزام بإصدار المجلة وطرح موضوعات تمثل أولوية لقراء "خطوة" ، لذا سيخصص ملفاً العدد القادم (٢٤) والعدد بعد القادم (٢٥) لموضوعين مهمين هما "الطفل والصحة" و"أمن وسلامة الطفل" ، مرحبين دائماً بإسهاماتكم القيمة .

المشرف العام

د. مسعد عويس

الحكاية الشعبية هل تصلح

د. هادي نعمان الهيتي

أستاذ علم الاتصال بكلية الإعلام - جامعة بغداد - العراق

التعبير والتصوير .. مما يجعل من تلك حياكة لصور قصصية وعملية "حكي".

ثانياً - الحكايات :

لما كانت الحكايات بالمعنى العام هي مجمل السرد القصصي الذي يتناقله الناس ، لذا تغلب عليها سمة البساطة مقارنة بأنواع القص الأخرى ، ولكن بساطة الحكاية لا تعني بالضرورة فقراً في مضمونها ، إذ إن الحكاية - في الغالب - تحمل مضموناً ثرياً وعميقاً . وتتضح سمة البساطة في الأسلوب واللغة والبناء ، حيث تظل الحكاية من التعقيدات اللغوية ، ويطغى على الأسلوب الجمال والوضوح ، ويخلو بناؤها من التفصيلات التي قد تصرف الذهن عن تركيز الانتباه .

ومن الحكايات ما هي شعبية ، ومنها ما هي خرافية . والحكايات الشعبية نوع قصصي ليس له مؤلف ؛ لأنه حاصل ضرب عدد كبير من ألوان السرد القصصي الشفاهي الذي يضيف عليه الرواة ، أو يحورون فيه ، أو يقطعون منه . وهو يعبر عن جوانب من شخصية الجماعة ، لذا يعد نسبه إلى مؤلف بعينه نوعاً من الانتحال .

وتدور الحكايات الشعبية حول أحداث وأشخاص أبدعها خيال الشعب ، وهي ترتبط بأفكار وأزمنة وموضوعات وتجارب ذات علاقة بحياة الإنسان ، وهي - في العادة - لا تخرج عما هو سائد في الحياة إلا في حدود .

وتستهدف الحكايات الشعبية تأصيل القيم والعلاقات الاجتماعية؛ لذا فهي - في الغالب - ملتزمة .. وكل حكاية تنطوي على معنى أو نمط سلوكي تريد له أن يتحقق أو آخر تريد له أن

الاتصال الثقافي بالأطفال . وقد اتخذت هذه الحركة صبغة مقالات وكتب ودراسات وندوات وحلقات نقاشية في كل البلدان العربية ، ولكن البداية كانت قد تبلورت بفضل جهود المختصين والأدباء وكتاب الأطفال في مصر ، من أمثال سهير القلماوي ، ومحمد محمود رضوان ، وعبدالغواب يوسف ، ونعمات أحمد فؤاد ، وسمية فهمي ، وأحمد نجيب ، وسامي عزيز ، عبدالبدیع القمحاوي ، وغيرهم الكثير ممن أثنأوا لأدب الأطفال وإعلامهم وجوداً .

وقد أتيت لنا ، نحن الباحثين وكتاب الأطفال ، المشاركة في تلك الجهود من خلال الدراسات واللقاءات العلمية أولاً ، وكانت حصيلة ذلك توافر ذخيرة معرفية لا يستهان بها .. ولكن تلك الذخيرة لم تخل من كثير من الاجتهادات الذاتية والأحكام المتعجلة والملاحظات غير المقتنة .. إذ اصطفت هذه الصنوف إلى جانب حقائق علمية كثيرة في تلك الذخيرة .. بحيث أمكن القول إن تلك الذخيرة المعرفية انطوت على مزيج مما هو علمي ، ومما هو غير علمي ، ومما هو مضاد للعلم ، وقد استدعى ذلك أن يعزل هذا عن ذلك .

وهنا نحاول النظر إلى العلاقة بين الحكايات الشعبية والأطفال ، هذه العلاقة التي يمتد عمرها إلى عمر الإنسانية ، حيث لا يمكن إلا أن نفترض أن الآباء الأوائل كانوا ينقلون إلى الأطفال صوراً عن أحداث واقعية وتخيلات ، بل لا بد أنهم كانوا ينقلون للآباء وقائع سعيهم اليومي الشاقة مثلما كانوا ينقلون تجارب الآخرين من حولهم وتجارب الأجيال الماضية ، وكانوا في تصويرهم لهذا وذاك يضعون للسمات ويرسمون الأجواء بما يعين على

تشهد الحياة الإنسانية حركة تغير مستمرة على الصعد النفسية والاجتماعية والاقتصادية والاتصالية ؛ لذا فإن حياة اليوم تختلف عن حيوات الأمس اختلافات واسعة عميقة . وينشغل الآباء والمختصون بالعلوم السلوكية بواحدة من القضايا المهمة ذات الصفة المتجددة ، تلك هي قضية : الطفولة ، التي لا تعد مرحلة نمو فحسب ، بل هي إلى جانب ذلك ، قضية أساسية من قضايا الحياة والمجتمع الإنساني .

وتذهب انشغالات الآباء والمختصين إلى تفاصيل دقيقة حول هذه المرحلة والقضية ، بل هي تتشعب على شئون أنشطة الأطفال المختلفة وحاجاتهم ودوافعهم ومختلف جوانب نموهم وما يرتبط بهذا وذلك من قضايا البيئة التي يحيا الأطفال في كنفها ومن قضايا المجتمع الذي يعيشون في إطاره .

ومن بين المسائل التي كثيراً ما يتردد تساؤل الآباء والمختصين اليوم عنها في هذا المجال : إلى أي مدى يصح تقديم حكايات الأمس البعيد لأطفال اليوم ؟ وإلى أي مدى يصح تحوير الحكايات القديمة بما يتلاءم وروح الحياة الجديدة ؟ وهل يعد انشداد أطفال اليوم إلى الحكايات الشعبية التي تقدم لهم عبر الراديو والتلفزيون والسينما والمسرح والمجلات ظاهرة صحية ، أم هي مشوية بشيء من الخلل؟

أولاً - الريادة :

منذ مطلع السبعينيات من القرن العشرين ، كانت حركة واضحة قد أخذت بالتبلور في الوطن العربي تحاول إثارة مسائل علمية حول

لأطفال هذا العصر؟



رابعاً - التوجهات

وإزاء هذا نشير إلى أبرز التوجهات حول صلاحية الحكاية الشعبية للأطفال ، وحول إمكانات إجراء التحوير الأدبي فيها .. يمكن حصر أبرز التوجهات حول العلاقة بين الطفل والحكاية الشعبية في الوطن العربي في عدد من النظرات فيها :

- ١- هناك من يرى أن للحكاية تأثيراتها السالبة في نفوس الأطفال : لأن الكثير من الحكايات الشعبية يدعو إلى الاندفاع والطيش والتقيد بالقوالب والشكليات الجاهزة والحماس اللفظي والميل إلى المبالغة .
- ٢- وهناك اتجاه يرى أن الحكاية الشعبية، وخاصة تلك التي يرد فيها الجن والعفاريت والسحرة ، تثير الخوف والرعب في نفوس الأطفال ، وتؤدي إلى التردد والإحجام .

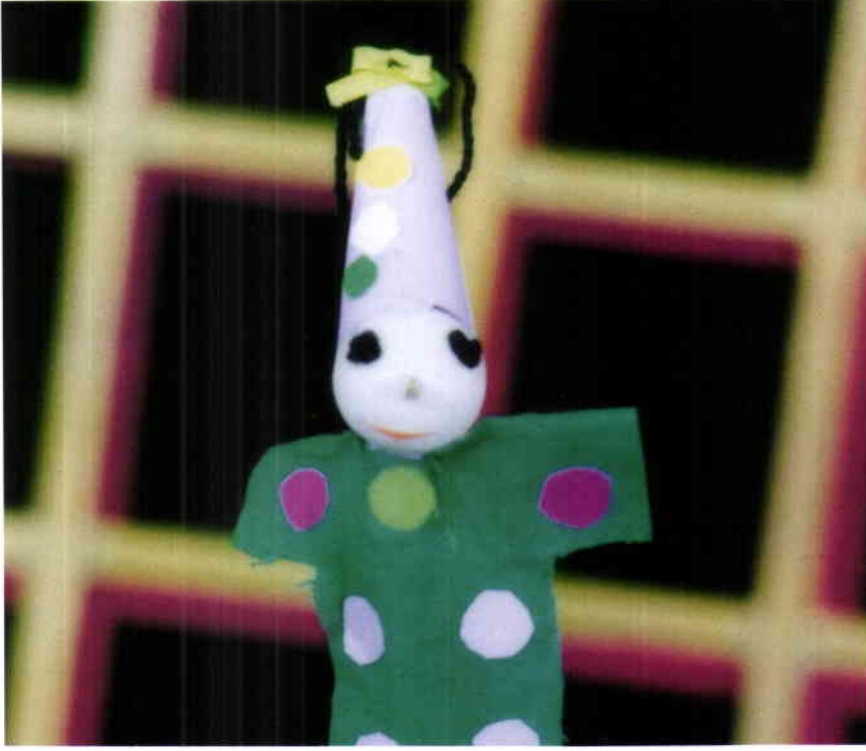
ويشار كثيراً : إلى أن حكايات الماضي البعيد التي أبدعها الإنسان ، منذ عصور مبكرة ، قد لا تكون ذات جدوى للأطفال ؛ لأن أطفال اليوم نشأوا في بيئة تقوم على الحياة المنتجة ، وأن صلتهم بالماضي انقطعت إلى حد كبير ، وتغيرت أذواقهم ومطالبهم الثقافية . وهذا يؤثر الاحتمال إلى أن تبدو حكايات الماضي أمامهم ساذجة أو بعيدة عن حياتهم ، أو أنها مجرد أكاذيب فجة .

كما يثار - أيضاً - التساؤل فيما إذا كانت الحياة الجديدة بظروفها المتغيرة تحتم إيجاد بديل جديد مخالف لبعض مخلفات الماضي الذي تحمله بعض الحكايات الشعبية . وقد قادت هذه التساؤلات إلى تبلور حركة نقد أدبي وحركة بحث في العلم الإنساني، فضلاً عن ظهور تيارات من الاجتهادات الذاتية حول هذه المسائل دون أن تنتهي إلى حلول حاسمة .

ينبذ .. وتفصح الحكايات - إلى حد ما - عن مضمون العاطفة والفكر والخيال والرؤية . وليس بالوسع تصور شعب لا حكايات شعبية له. والحكايات الشعبية كانت وليدة حياة وعادات ومعتقدات وعواطف في أزمنة بعيدة ، ولكن الحكايات التي اكتسبت الخلود منها تكشف أن عادات ومعتقدات وعواطف كثيرة ظلت تلازم الإنسان حتى اليوم .

ثالثاً - التساؤلات

ومن الحكايات الشعبية ما أصبحت جزءاً من أدب الأطفال ، بل إن أدب الأطفال ، في كثير من المجتمعات ، كان قد نشأ اعتماداً على الحكايات الشعبية ، كما أن كثيراً من كتاب الأطفال يحورون في بعض الحكايات الشعبية ويخرجونها في صيغ جديدة ؛ لتقدم إلى الأطفال.



٣- وهناك اتجاه يرى أن للحكايات الشعبية مزايا كثيرة ، وأن اعتراضات بعض النقاد العرب حول الحكايات الشعبية هي اعتراضات اجتهدية ، وأن كثيراً من العناصر في الحكايات الشعبية في كثير من دول العالم تبين إنها لم تود إلى التأثيرات التي توقعها النقاد والدارسون العرب ، وأن جيل الأطفال الذين استمعوا وقرأوا قصص السحرة والجان والعمالقة هم الجيل الذي ابتكر المخترعات التكنولوجية الهائلة .. وأنه ما كان لهذه الابتكارات الكبيرة أن تتحقق لو لم يتوافر لذلك الجيل في طفولته ما يثير الخيال إثارات بناءة.

٤- وهناك اتجاه رابع يدعو إلى انتخاب الحكايات الشعبية وتهذيبها ، أو إصلاح ما يمكن إصلاحه منها ، والتعامل معها بطرق مناسبة .

خامساً - المؤشرات

ونجد أن هناك مؤشرات أساسية حول الحكاية الشعبية من حيث قابليتها للتغيير ، ويتوجب الوقوف عليها قبل الحكم على كيفية التعامل مع الحكاية الشعبية عند تقديمها للأطفال .

ومن أبرز هذه المؤشرات :

١- أن التمتع في بنية الحكاية الشعبية وفي مضمونها يوحي للدارس أن تغييرات قد أصابتهما على مدى الزمن : مما يعطي الدليل على أن للحكاية الشعبية قدراً من المرونة ، ليس من ناحية الشكل والمضمون فحسب ، بل من حيث عناصرها الأخرى ، كالبطل ومجمل الشخصيات والحدث والفكرة والجو العام الذي تدور فيه التفاصيل والحبكة .

٢- من خلال المقارنة بين الحكايات الشعبية تتبين ملاحظات متعددة ، من بينها أن هناك مضموناً واحداً لعدد من الحكايات ذات الأبنية المختلفة ، كما أن هناك اختلافات في ترتيب الحوادث وفي سمات الشخصيات ، واختلافات في النهايات التي تنتهي بها بعض الحكايات ، مما يعني أن حدود التغيير في الحكايات الشعبية واسعة ، لذا ففي الوقت الذي نجد فيه حكايات لها صفة العالمية ، فإن هناك حكايات ذات صفة محلية .

على الشاكلة التي وصلت إليها ، ويبرر في الوقت نفسه إجراء تغييرات فيها تبعاً لما تمليه ضرورات الاتصال الأدبي بالأطفال .

٢- مع أن الحكاية الشعبية تُنسب إلى واضعها ، وهو الجماعة الاجتماعية ، فإن الجماعات المختلفة تضع ، وتحتضن - غالباً - حكايات ، تبعاً لعوامل ذات علاقة بالهوية ، وهذا يعني أن الحكاية الشعبية ملتزمة .

وهذه السمة ، هي الأخرى ، تبيح لنا التعامل مع الحكاية الشعبية في الحدود التي تجعلها ضمن الالتزام المطلوب والقبول اجتماعياً أو عاطفياً ، تبعاً لما تمليه مستجدات الحياة .

٣- لما كانت الحكاية الشعبية تحمل قدراً من

التعبير عن ثقافة المجتمع وأسلوب حياته لذا ؛ فإن لها وظيفة اجتماعية ، وأداءها للوظيفة يفرض عليها التأقلم تبعاً لما تمليه بعض أساليب حياة المجتمع في تعبيرها عن نفسها واتجاهاتها . وهذه السمة التي نجدها في الحكاية تبيح ، هي الأخرى ، التغيير في الحكاية ، عند الأخذ في الاعتبار بالوظيفة الاجتماعية .

٤- لا يقتصر التغيير في الحكاية على عنصر واحد ، إذ يمكن أن يحصل في أكثر من عنصر ،

٣- للحكاية الشعبية وظائف متعددة ، إذ هي تهدف إلى غايات متعددة ، كإثارة المتعة ، أو تبيان أفضلية قيمة ، أو الدعوة إلى سلوك معين ، أو التوجيه نحو عاطفة ، أو الإيحاء بانطباع ، أو إثارة شعور نحو قضية من قضايا الحياة .

٤- للحكاية الشعبية شكل متحرر ، وله صيغ متعددة ومتنوعة ، لكن السمة المشتركة بين الحكايات الشعبية أن لها بناءً قصصياً كثير التكرار ، وهو على درجة من التعقيد ، لأنه ليس رؤية فردية ، بل هو رؤية شعبية ، أي جماعية .

سادساً - الخصائص

وعلى أساس هذه المعطيات ، يمكن القول عن الحكاية الشعبية في حدود هدف هذه المقالة ما يلي :

١- أن الحكاية الشعبية - رغم محاولات الحفاظ عليها - فإن لها قدراً من الطواعية. ولولا هذا القدر لتردد احتمال العزوف عنها، ولازاد احتمال اندثارها . وبذا تعد الطواعية واحدة من عوامل بقائها .

وهذا يقطع حجة المتعصبين لإبقاء الحكاية

مؤشرات وتحديد خصائص ، وفرض معايير لعملية التعامل مع الحكاية الشعبية؛ لكي تناسب أطفالاً يشبون في عصر جديد ، هو عصر يحمل من المعاول ما يهيئ له أن يكتسح كل من يجاني المرونة ، ويتجمد على الطريق حجارة صماء .

E-mail : hadi,hity@warkaa.net



الجابري ، حمدي

مسرح الطفل في الوطن العربي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ (مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢)

هدف الدراسة التعرف على أوضاع مسرح الطفل في الوطن العربي ولتحقيق هذا الهدف أجريت هذه الدراسة خمسة أقسام ومقدمة على النحو التالي :-

- المقدمة بينت أن واقع مسرح الطفل في الوطن العربي لا ينفصل عن واقع المسرح والثقافة العربية ، ولا ينفصل عن المجتمع والإنسان العربي .

- القسم الأول وهو عن مسرح الطفل وقد بين المقصود بمسرح الطفل في دوائر المعارف والمراجع المختلفة وانتهى من ذلك إلى أنه يمثل مسرحاً من أجل الأطفال يقدم فيه راشدون محترفون أعمالاً مسرحية ينفعل بها الأطفال المتفرجون الذين يستمتعون بمشاهدته ، وبين هذا القسم أهمية مسرح الطفل ووظائفه التي قسمتها الدراسة إلى وظيفة معرفية ، ووظيفة تربوية، ووظيفة ترفيهية ، وبين نفس القسم عناصر العرض المسرحي في مسرح الطفل وتحدث عن كل عنصر منها وهي : النص ، اللغة ، التمثيل ، الديكور ، الألوان ، والإخراج .

- القسم الثاني عن المسرح المدرسي وقد بين التطورات التي مر بها المسرح المدرسي منذ نشأته ، وأهميته وأغراضه وتدور حول : أنها من اللغة ، تعليم الأطفال ، زيادة المحصول الأدبي والعلمي ، وأن يكون أداة للتهديب وأداة تسلية وبين أهدافه وهي : أهداف تعليمية ، أهداف تربوية ، وأهداف ثقافية وتحدث عن كل هدف منها .

- القسم الثالث عن المسرح في التربية وقد بين المفهوم التربوي وبين التطورات التي مر بها في كل من بريطانيا وأمريكا .

- القسم الرابع عرض بعض التجارب العالمية حول مسرح الطفل وبين مدى اهتمام الدول العربية بمسرح الطفل ، وتناول في هذا المجال تجارب روسيا وأمريكا وفرنسا في هذا المجال .

- القسم الخامس عن مسرح الطفل في الوطن العربي وقد بين التطورات التي مر بها في كل من سوريا ، الجزائر ، العراق ، الأردن ، الخليج العربي : المملكة العربية السعودية ، الإمارات ، البحرين ، قطر ، والكويت .

ولكن ما ينبغي الحفاظ عليه وحمايته من التغيير هو بنية الحكاية وتعبيراتها ذات الرؤى الجماعية أو الحس الجماعي ، وشكلها القصصي القائم على "الحكي" : لأن أي تغيير في هذه الخصائص يحولها إلى نوع آخر من القصص ، ويدخلها خانة أخرى غير خانة الحكايات الشعبية المحورة . وقد يبدو التغيير في هذه العناصر مسخاً أو تشويهاً ، ومن هنا يتضح ما يستلزمه التعامل مع الحكايات عند تحويلها للأطفال من جهد فني .

سابعاً - المعايير

وبعد أن تبين الرأي بصدد إحداث تغييرات في الحكاية الشعبية ، فإن مسألة تقديمها للأطفال ، وإجراء التغيير فيها يتطلب الاحتكام إلى عدد من المعايير الأساسية ، وتتمثل في المعايير الاجتماعية والثقافية والنفسية والتربوية، والمعايير المتعلقة بطبيعة القناة التي تنتقل الحكاية من خلالها إلى الأطفال .

وتقوم المعايير التربوية والنفسية والاجتماعية على توافق الحكاية الشعبية عند انتقالها للأطفال أو عند تحويلها لهم مع الأسس التي تشكل هذه المعايير ، وفي مقدمتها تلاؤم الحكاية مع مدى نمو الأطفال النفسي والاجتماعي والعقلي واللغوي ، فضلاً عن التلاؤم مع حاجات الأطفال .

وتقوم المعايير الفنية على توافق الحكاية المنتقاة أو الحكاية المحورة مع الاعتبارات الأدبية التي تميز الأدب عموماً وأدب الأطفال خصوصاً ، والفن القصصي بالذات ، من حيث تشكيل الحكاية المحورة ، ومن حيث رسم حوادثها وشخصياتها ، ومن حيث اختيار موضوعها وحيكمتها وجوها في إطار يناسب الأطفال .. ويدخل في عداد ذلك عمليات التجسيد الفني للقيم والأفكار .

أما المعايير الخاصة بقناة الاتصال بالأطفال، فيراد بها الطريقة أو الوسيلة الاتصالية في نقل الحكاية الشعبية المنتقاة أو الحكاية الشعبية المحورة إلى الأطفال ؛ إذ يمكن أن تقدم الحكاية مروية بصورة مباشرة، ويمكن أن تكون عبر الراديو ، أو التلفزيون ، أو الصحيفة ، أو الكتاب .

وجدير بالذكر أن حركة تحويل الحكايات

عندما يشاهد الصغار دراما

سعد لبيب

خبير إعلامي - مصر



والنتيجة أن الأطفال في هذا المحيط العائلي لا يملكون إلا أن يشاهدوا ما يشاهده الكبار .. وأركز هنا على المواد الدرامية من أفلام أو مسلسلات عربية فهي الأكثر تفضيلاً لدى الكبار. ويتفاوت اهتمام الأطفال ببرامج الكبار باختلاف طبيعة الموضوع .. فهم يسعدون كثيراً بالأفلام الكوميدية الخفيفة (أفلام إسماعيل يس على سبيل المثال) ، أو أفلام المغامرات والرحلات في الأماكن الغربية عليهم.. أما تلك المعتمدة على العواطف والمشكلات الأسرية فلا يهتمون بها كثيراً .. وإن كانت قلة منهم تتابع بعضها ، وتسأل عن سر هذه المشكلات ، وغالباً ما تشغل الأم في الإجابة عن تساؤلات الطفل في هذا المجال أو ذلك.

وإذا كانت هذه الأفلام والمسلسلات موجهة في الأصل إلى الكبار ، ويشاهدها الصغار معهم ، فإن هناك بعض الأفلام والمواد الموجهة إلى الصغار ، يشاهدها ويستمتع بها الكبار

الحق أن التلفزيون ليس غائباً عن الاهتمام ببرامج الأطفال ، فلها فيه نصيب وإن كان محدوداً على القنوات الأرضية .. ونصيب أكبر على القنوات الفضائية بعد أن تقدمت التكنولوجيا ، وأتاحت استخدام الكثير جداً من القنوات عبر الأقمار الصناعية ، فخصصت بعضها بالكامل لبرامج الأطفال في مراحل العمر المختلفة .. وهي قنوات بعضها يأتي من خارج المنطقة العربية ، والبعض الآخر من داخل المنطقة ، وإن كان يعتمد في كثير مما يقدمه على المواد المنتجة في الخارج بلغات أخرى ، ويتولى هو إضافة الصوت العربي لها فيما يعرف بعملية "الدوبلاج".

والغالبية العظمى للبرامج الموجهة إلى الأطفال تعتمد في مادتها على الدراما بأشكالها المختلفة ، فهناك الدراما التي يقدمها الممثلون الصغار أو الكبار ، أو هما معا .. والدراما التي تعتمد على الرسوم المتحركة (الكارتون) والشخصيات الخيالية من إنسان أو حيوان ، ويدخل في هذا بعض الأحيان ما يعرف "بخيال الظل" ، أو المسرحيات التي يقدمها الأطفال في مناسبات معينة ، وبعضها مسرحيات تعليمية، أي أنها ترتبط بشكل أو بآخر بمناهج التعليم في مراحلها الأولى .

ولذلك فيمكن القول أن التلفزيون يقدم كل الأشكال الدرامية التي تتناسب مع الأطفال في مراحل العمر المختلفة . ولكنها في واقع الأمر لا يعوضها إلا في حدود معينة .. أعني أنه ليس البديل المناسب لهذه الأشكال إن شاهدها الطفل بشكل مباشر ، في صالة المسرح ، المدرسة أو في أي مكان آخر معد لذلك .. فسيكون حينئذ استمتاعه بها أكبر وتأثيرها أعمق .

ولعله من المناسب هنا أن نتوقف للتذكير

ببعض الحقائق.. فالقنوات التلفزيونية الأرضية هي الأكثر مشاهدة من جانب الصغار والكبار .. إذ أن نسبة التعرض للقنوات الفضائية مازال محدوداً في كثير من الأقطار العربية ، فهو في مصر مثلاً لا يزيد على عشرين في المائة من مجموع المشاهدين ، ولذلك فينبغي عدم التوقف كثيراً عندما تقدمه القنوات الفضائية.

والأهم من هذا ، أن نسبة محدودة من الأطفال هي التي تهتم بمشاهدة البرامج الموجهة لهم .. فقد يكون البرنامج موجهاً إلى الأطفال دون سن المدرسة ، فعندما يشهده الأطفال الأكبر سناً ، يرونه ساذجاً فلا يحرصون على متابعته ، فإذا كان موجهاً إلى المرحلة العمرية الأكبر ، تعذر فهمه على الأصغر سناً فينصرفون عنه .

يضاف إلى هذا أن مشاهدة التلفزيون عادة ما تتم في الإطار العائلي ، أي أن الأسرة بمختلف مراحل السن التي تشاهد التلفزيون معا ، ولا يستطيع الطفل أن يفرض على الكبار مشاهدة البرامج الموجهة إلى الصغار ، إلا في حالات استثنائية ، كانشغال الكبار بأمور أخرى ، أو لأن الطفل بسبب أو آخر استطاع أن يفرض رغباته على الكبار ، وهذا أمر لم يعد مستغرباً !!

الكبار

أيضاً . فأفلام الكرتون ، منذ أن كانت تعرض في دور العرض السينمائي ، مثل أفلام "توم وجيري" ، مازال يستمتع بها الكبار والصغار معا على نحو ما يستمتعون الآن بأفلام كارتونية وعرائس (دمي) ينتجها التلفزيون مثل "بكار" و"شارع السمس" ، وتشاهد في الإطار العائلي .

ويمكن أن يدخل في هذا الإطار ، بعض - ولا أقول كل - الأغنيات المصورة بطريقة الفيديو كليب" على الأخص منها تلك التي يشارك فيها الأطفال بالتمثيل أو الغناء أو الرقص ، وتعتمد على قصة ، أو شبه حبكة درامية كوميدية أو غنائية راقصة ، تستخدم الوسائل المختلفة للإيهام .

ثم نتوقف عند الإعلانات التي تتخلل البرامج سواء الموجهة منها إلى الصغار أو الكبار ، أو تداع بين فقراتها .. ونعلم أن إزاعتها ضرورة لتمويل جزئي لتمويل الخدمات التليفزيونية الباهظة التكاليف ، سواء منها الأرضية أو الفضائية . ونعلم كذلك أنها إلى جانب إيجابياتها في التعريف ببعض السلع والخدمات التي لم يكن ليُعلم بها الجمهور لولا إزاعتها بكثافة في القنوات التليفزيونية ، الأمر الذي يخدم الاقتصاد الوطني ، إلا أننا نعلم أنها تثير شهية الكبار والصغار لاقتناء ما لا حاجة لهم به في كثير من الأحيان عند من يملكون ، وتثير ، الإحباط عند من لا يملكون .. وتساهم في كل الأحوال في خلق مجتمعات استهلاكية ، تستهلك بأكثر من طاقتها على الإنتاج . والذي يعني هنا في الإعلانات هو تلك التي تعتمد على مواقف شبه درامية أو غنائية يؤديها فنانون أو رسوم متحركة لحيوانات أو طيور .. بعضها بالغ التأثير ، ويتمتع بنسبة مشاهدة عالية ، على الأخص بالنسبة للصغار الذين كثيراً ما يحفظون أغاني هذه الإعلانات .

وإذا كنا نعلم بكل هذا .. فماذا بعد؟! وهذا هو بيت القصيد .

فلا بد أن يستقر في وجداننا - نحن المربين والإعلاميين - أن مشاهدة الطفل للتلفزيون لأي من البرامج الدرامية الموجهة له ، لا تغني عن استمتاع الطفل بالتلاقي المباشر مع مسرح الأطفال ، سواء كان مسرحاً للعرائس (الدمي) أو خيال الظل أو حتى "الأراجوز" ، ناهيك عن المسرحيات المدرسية المرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر ، بمناهج التعليم المبكرة . حيث الأثر أكثر عمقاً ، والفكرة أكثر إقناعاً والمتعة أكثر شمولاً .

ثم إن البرامج الموجهة إلى الأطفال / الابن أولاً وأخيراً ، أن تكون جذابة وممتعة . فالطفل لا يتابع برنامجاً لكي يتعلم ، بل لكي يستمتع ، ويرتبط بهذا أن تتنوع برامج الأطفال بحيث توجه بطريقة صحيحة ، إلى شريحة العمر المستهدفة .

وربما كان من المناسب هنا التذكير بأن التليفزيون ، وإن كان في أحسن الأحوال يؤدي خدمة ترفيهية وتثقيفية للأطفال ، إلا أن الأطفال الذين يداومون على مشاهدته لساعات طويلة ، سواء لمشاهدة برامج الأطفال أو الكبار ، معرضون للكثير من الأضرار إذا لم ينتبه المسؤولون عن تنشئتهم إلى أن الطفل خلال هذه الساعات الطويلة قد يشاهد ما لا حصر له من الجرائم وأعمال العنف ، وهو ما لا يمكن أن يمر دون أن يترك آثاره السلبية على الأطفال المشاهدين ، إما بغرس فكرة أن الصراع هو الوسيلة الوحيدة لحل أية مشكلة يواجهها الإنسان ، وإما بتبديل مشاعرهم تجاه الجرائم والمجرمين ، ويصبح منظر الدماء والجروح وكأنه من لزوميات الحياة الاجتماعية . وحتى إذا لم يصل الأمر إلى حد الجريمة . فإن المشاحنات العائلية أو غيرها تصيب الطفل بنوع من الإحباط والخوف من الناس والمجتمع ، والركون إلى العزلة والانطواء على الذات .

بالإضافة إلى أن هذه الظاهرة ، "ظاهرة الإدمان التليفزيوني" ، تعزله بالقطع عن مزولة الأنشطة الرياضية أو الاجتماعية ، أو الدراسية أو الفنية ، كلياً أو جزئياً ، وهذا على حساب النمو السليم للطفل .. وقد تلاحقه هذه الآفة في مراحل عمره التالية .

ويتصل بضرورة الاهتمام بالبرامج الموجهة إلى الأطفال من حيث الجاذبية وتحديد شريحة

العمر المستهدفة ، وإذاعة البرنامج في الوقت المناسب لجمهوره ، الاهتمام بملاءمة ما يمكن أن نسميه "البرامج المجاورة" لبرامج الأطفال ، أي التي تداع في نفس الفترة الإذاعية ، قبل برامج الأطفال أو بعدها مباشرة ، فلا يتصور أحد أن مشاهدة الطفل لبرنامج تبدأ وتنتهي مع نهاية البرنامج ، فإذا جلس الطفل للمشاهدة ، فهو يشاهد فترة متكاملة تبدأ قبل إذاعة البرنامج ، وتستمر لمدة بعده .. والإعلانات وأغاني الفيديو كليب والحلقات الأجنبية المثيرة هو ما يمكن أن يدخل في هذا السياق .

ويسير بالتوازي مع الاهتمام بإنتاج برامج الأطفال المناسبة ، إنتاج أفلام سينمائية خاصة بالأطفال في مراحل العمر المختلفة ، وهو مجال كثر الحديث فيه وندر فيه الإنتاج ، لأن باختصار ، غير مربح تجارياً للمنتجين الذين يقوم إنتاجهم على حساب الربح والخسارة .. ومحطات التليفزيون لاتدفع مقابل المادى لإذاعة برامج الأطفال ، تقوم على أساس صرف نصف ما يصرف على برامج الكبار ، وهو قاعدة تقوم على منطق مقلوب ، إذ أن العمل في مجال الأطفال يقتضى قدراً من التخصص والحرفية يزيد كثيراً عما تتطلبه برامج الكبار .. ويبقى الاعتماد في هذا الشأن على "دبلجة" بعض أفلام الأطفال المنتجة في الخارج ، بوضع الصوت العربي عليها .. وهي برامج أنتجت لأطفال يختلفون في ثقافتهم وفي توجهاتهم عن الأطفال العرب .

وإذا كان إنتاج أفلام "الكارتون" أي الرسوم المتحركة الخاصة بالصغار يتكلف الكثير من المال والجهد والتكنولوجيا المتقدمة ، فقد يكون البديل المناسب هو إنتاج برامج "العرائس" أي الدمى أو "الماسكات" أو الأقنعة لأناس أو حيوانات أو طيور ، وتقديم أعمال درامية أو شبه درامية تختار نصوصها وأفكارها بعناية . وغاية المراد ألا يكون التليفزيون ببرامجه عبئاً على الأسرة في تربيته للأطفال ، كما لا يكون مهرباً للألم للتخلص من أسئلة طفلها والتفرغ لشؤونها أو يكون وسيلة للطفل للابتعاد عن المجتمع ومضايقات الحياة ، والانزواء بعيداً بأفكاره وخيالاته .